بقلم :

محمد أسد شهاب

الاستشراق الروسي

□□ إذا أطلقت كلمة الاستشراق والمستشرقين ، قد يتبادر إلى الذهن المستشرقون من أوروبا الغربية وأمريكا .

الاستشراق لم يكن احتكاراً لدولة من الدول أو شعب من الشعوب ، فلدول أوروبا الشرقية وروسيا دور خطير في الأمور الاستشراقية ، وهي لا تقل اهتماماً بالشؤون الاسلامية عن غيرها من دول أوروبا الغربية وأمريكا .

ألف كثير من العرب والمسلمين كتباً عن الاستشراق والمستشرقين الأوروبيين ، فالمكاتب زاخرة بتلك الكتب ، غير أن القليل منهم من تعرض للاستشراق الروسي أو الأوروبي الشرقي ، وفي هذا الموضوع أستعرض شيئاً عن الاستشراق الروسي متى بدأ وكيف نشأ □□

دوافع الاستشراق متعددة الأسباب والاتجاهات والأغراض تبعاً للمصالح والغاية ، قد تكون قضية الاستشراق فردية أو من هيئة أو تابعة لدولة ، وإذا كانت حكومية فترصد له ميزانية خاصة تمشياً مع مصالح سياسة الدولة .

وبما أن لروسيا القيصرية سابقاً ، وروسيا البولشفية حالياً مستعمرات في آسيا الوسطى ، وهي بلدان اسلامية ، مثل : **ازبيكستان ، وتاجيكستان ، وكازاكستان ، وتركمينستان ، وكريمينيستان وغيرها** ، والذي لا يقل مجموع المسلمين في تلك المستعمرات عن مائة وعشرين مليوناً ، وهذه البلدان كلها غنية بالمعادن والبترول والحاصلات الزراعية ، ولولا استعمار روسيا لهذه البلدان الغنية لما كان لها شأن ، فلا عجب أن تتشبث روسيا بهذه البلدان ، وأن توليها أهمية كبرى لتثبت وضعها في تلك المناطق الاسلامية ، لذا كانت محاولة التعرف على عقيدتها وديانتها وثقافتها وميولها وكل ما له علاقة بذلك ، لتتمكن من وضع السياسة التي تكفل لها البقاء والسيطرة ..

ولقد تطور الاستشراق الروسي تبعاً لسير سياسة المحافظة على المصالح التي تعود على روسيا بالفائدة ، وسلك في هذا السبيل الطريقة والمنهج الذي سلكه المستشرقون الهولنديون متستراً بأسماء تخفي الغاية الحقيقية حتى يبعد الظن والشك .

وكانت **هولندا** قد اتخذت اسم « **مكتب مستشار الشؤون الاسلامية** » بدلاً من اسم « **استشراق** » ونهجت روسيا نفس المنهج واتخذت عدة أسماء :

معهد الفنون الشرقية ـ مكتب الشؤون الاسلامية ـ دار الافتاء ـ أكاديمية العلوم الشرقية ـ جمعية اتحاد العلوم ـ جمعية الصداقة الروسية العربية ـ معهد الدراسات العليا للشؤون الاسلامية ـ الادارة الدينية للشؤون الاسلامية .

ومن وراء هذه الأسماء البراقة المتعددة الألفاظ تولى المستشرقون الروس المتخصصون في الأمور الاسلامية أعمالهم .

من تاريخ الاستشراق الروسي ..

● في عام (١٨٥٢م) انشأت القيصرية الروسية لجنة من المستشرقين والمتخصصين في المسائل العربية كان بينها عناصر يهودية ، هدفها الأول : تهيئة الوسائل اللازمة لتقييم القدس الشريف بفلسطين ، وتأسيس بيوت لإيواء اليهود المهاجرين إلى

○ إن جمعية الاستشراق الروسي قد ساهمت مساهمة فعالة في انجاز وتحقيق الوطن القومي اليهودي في فلسطين ..

المستشرق الروسي س. ل. تيخفكي

● من اهتمامات جمعية الاستشراق الروسي: الحفاظ على الآثار التاريخية اليهودية خاصة في فلسطين .. و تحقيق التقارب والتفاهم مع الشعب العربي بواسطة الاتحاد السوفييتي لتأمين المنجزات التي تتفق مع المصالح الروسية .

□ جمال الدين الأفغاني .. الدعوة للجامعة الاسلامية □

□ ابن سينا الاحتفال بذكراه كان بتوجيه من الجمعية الاستشراقية إيهام العالم الاسلامي بالحرية الدينية للمسلمين في روسيا □

فلسطين ، وإنشاء مستشفيات لمرضاهم تحت إشراف « البعثة الروسية » التي اتخذت القدس الشريف مركزاً لها بدعوى رعاية الكنائس التابعة لها والنصارى الذين ينتمون إلى المذهب الأرثوذوكسي الروسي ، وبقية المؤسسات الأخرى التابعة لها ..

● وفي عام (١٨٦٤م) بعثت روسيا وفداً من أعضاء هذه اللجنة للسفر إلى فلسطين سراً لتهيئة الوسائل اللازمة لإقامة ملاجىء ومصحات ومستشفيات ودور للزوار اليهود الذين يصلون إلى القدس لزيارة المبكى في بيت المقدس من جميع أنحاء العالم .

● وفي عام (١٨٨٢م) أصبحت هذه اللجنة جمعية قائمة بذاتها بعد تكامل لوازمها ، وتم وضع قانون أساسي خاص بها ، واستطاعت هذه الجمعية الجديدة في خلال مدة معينة إنشاء أكثر من مائة مدرسة في فلسطين وبعض البلدان العربية ، وفتحت أبوابها لجميع أبناء الجاليات دون استثناء ، بما في ذلك اليهود وبلغ عدد تلاميذها آنذاك أكثر من عشرة آلاف تلميذ .

ثم طورت هذه الجمعية في عام (١٨٨٣م) إلى جمعية للبحوث الاسلامية ارتبطت بجامعة موسكو قسم الدراسات الاسلامية ، وشكلت الجمعية هيئة علمية خاصة لهذا الغرض ، انضم إليها كثير من المهتمين والمشتغلين بالشؤون الاسلامية والعربية وبكل ما يتعلق بالأدب والتاريخ العربي والاسلامي .

● وفي عام (١٨٩١م) ألفت هذه الجمعية وفداً باسم « البعثة الأثرية » لزيارة البلدان العربية ، بما في ذلك فلسطين للقيام بدراسات حول الآثار العربية والاسلامية ، وقد زار الوفد دمشق ، وبيروت ، وحمص ، وحلب ، وحماة ، وطرابلس الشرق ، والقدس الشريف ، والخليل .. ومكث الوفد بصفة خاصة طويلاً في القدس لدراسة الآثار المرتبطة باليهود تمهيداً لتحقيق الوطن القومي اليهودي المدعمة بالتاريخ !! وقد تم للوفد وضع تقرير في هذا الموضوع ، وعاد الوفد إلى موسكو حاملاً معه الوثائق وما توصل إليه في تقصيه من أبحاث ، وفور وصول الوفد اجتمع بالمسؤولين المختصين في المسائل الاسلامية .

● وبناءً على التوجيهات القيصرية عقدت الجمعية جلسة وقررت تأسيس جمعية روسية للمستشرقين الروس بدعم من الأكاديمية الروسية للعلوم ، وكان من هؤلاء :

١ ـ ف . س . سيكوروف — F. S. Sikorov
٢ ـ ي . ي كراسكوفسكي — J. J. Kraskovsky
٣ ـ ا . ن . بوتشييف — A. N. Bortchiyev
٤ ـ س . ب . تولستوف — S. B. Tolstov
٥ ـ ف . ف . بيلغويفسكايا — F. F. Bilgovskay

الأخيران : الرابع والخامس ، عضوان بالأكاديمية الروسية .

● هذه أول جمعية للمستشرقين الروس بصفة رسمية تابعة للأكاديمية الروسية ، وتختص بدراسة كل ما يتعلق بالبلدان العربية أولاً ثم بالشعوب الاسلامية ثانياً ، دينياً واجتماعياً وثقافياً وتاريخياً واقتصادياً .

الاستشراق الروسي

اما الاكاديمية الروسية للعلوم ، فكان اهم واجباتها : إعداد وتخريج متخصصين في العلوم الاسلامية ليلتحقوا بعد تخرجهم بالجمعية الاستشراقية الروسية .

دوافع حركة الاستشراق الروسي ..

وكان من اهم الأسباب التي دفعت روسيا لذلك :

١ ـ العداوة المتوارثة بينها وبين دولة الخلافة الاسلامية في استنبول التي تمثل القوى الاسلامية ، والتي سببت الحروب المتوالية بين تركيا وروسيا .

٢ ـ خوف روسيا من ثورة الشعوب الاسلامية الواقعة تحت احتلالها .

٣ ـ اطماع روسيا التوسعية للاستيلاء على المناطق الغنية المجاورة لها للوصول إلى البحر الأبيض المتوسط والخليج والبحر العربي للسيطرة على الخطوط البحرية العالمية .

٤ ـ وضع المسلمين في آسيا الوسطى لئلا يثوروا .

٥ ـ السعي لكسب تأييد وعطف العالم الاسلامي لسياسة روسيا .

من هذا المنطلق وجهت روسيا كل اهتمامها وطاقاتها إلى كل ما يتعلق بالعرب والمسلمين ، فالبلدان العربية تأتي في رأس القائمة ، لموقعها الاستراتيجي ، ومركزها الاسلامي ، وصلات المسلمين بالأماكن المقدسة في البلاد العربية .

الاستشراق الروسي والوطن القومي اليهودي ..

وفي عام (١٩٧٢م) احتفلت هذه الجمعية بذكرى مرور تسعين عاماً على تأسيسها عام (١٨٨٢م) وكان الاحتفال بمركز معهد الدراسات الاستشراقية لأكاديمية العلوم بموسكو في أول يوم من شهر ايار (مايو) وهو يوم عيد العمال الروس : وفي هذه الذكرى القى المستشرق الروسي (س.ل. **تيخفسكي**) كلمة رئيس الجمعية ثم قدَّم للحاضرين التقرير العام عن أعمال الجمعية ونشاطاتها ومنجزاتها التي قامت بها خلال تسعين عاماً : وجاء في الكلمة التي القاها :

« إن جمعية الاستشراق الروسي قد ساهمت مساهمة فعالة في انجاز وتحقيق الوطن القومي اليهودي في فلسطين » .

وكان من اهتمام الجمعية الحفاظ على الآثار التاريخية اليهودية خاصة في فلسطين ، وكذلك اهتمامها بتحقيق التقارب والتفاهم مع الشعب العربي بواسطة الاتحاد السوفييتي لتحقيق المنجزات التي تتفق مع المصالح الروسية ..

ثم تحدث كثير من المستشرقين الروس ، منهم : (**ك . ب . ستاركوفا**) الذي ركز كلمته على العالم الاسلامي ، ثم تلاه المستشرق : (**م . ا . كوروستوفتسييف**) الذي تحدث عن الديانات الفرعونية القديمة بمصر والمرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالتوراة والزبور .

اما المستشرق : (**ل . ي . ناريراد ذي**) فقد طرق موضوع العلاقات العربية الروسية عبر التاريخ والأحداث من جميع الجوانب .

نشاط الجمعية ..

تقيم الجمعية الاستشراقية الروسية ندوات ومحاضرات دورية ، وتطبع كل ما يدور في تلك الندوات ، وما يلقى من محاضرات كما تطبع الجمعية الأبحاث والدروس التي يقوم بإعدادها المستشرقون الروس .

وتتخذ هذه الجمعية لواجهاتها شعارات مغرية جذابة مثل : البحث العلمي ـ الدراسات التطبيقية ـ وغيرها من الكلمات المعسولة ، وكلها شعارات تخديرية هدفها : القضاء على عقيدة المسلمين وتراثهم ...

المستشرقون الروس ومكانتهم ..

١	يوبوجان غوروف	رئيس المعهد بموسكو Yobujan Khorov
٢	بوغـونوف	متخصص في الفقه الإسلامي Bugolov
٣	يوبيـكايا	متخصص في الأدب العربي Yubikaya
٤	كريز بفيج	مدير معهـد لينين غـراد ومتخصص في الأدب والتاريخ الإسلامي Krez Befing
٥	خاليـدوف	متخصص في الأدب العربي Khalidov
٦	السيدة غرونفست	متخصصة في البلاغة العربية والنحو Mrs. Gronvest
٧	ميخائيلـوف	متخصص في الأدب العربي Mikhailova
٨	بيوترفسـكي	متخصص في تاريخ اليمن وآدابها Biotorofsky
٩	يوشـاكوف	متخصص في السياسة والاقتصاد Yushakov
١٠	سـفيتلانا	متخصص في اللغة العربية

• تتخذ الجمعية لنشاطاتها ثمارات مغرية جذابة، مثل: البحث العلمي - الدراسات التطبيقية... بهدف: القضاء على تراث المسلمين وعقيدتهم.

• من أهداف معهد الدراسات الاسلامية في روسيا: ابعاد المسلمين عن عقيدتهم، واغراؤهم بالمفاهيم المادية الجذابة، وفتح المجال أمامهم لاعتناق الاشتراكية !!

١٠	سفيتلوفا	والفلسفة والاجتماع Svitlova 10
١١	برودوروف	متخصص في تاريخ الأدب العربي والمذاهب الاسلامية والحركات السياسية Brodorov 11
١٢	شـومسكي	متخصص في الجغرافيا وعلم البحار Shomosky 12
١٣	نيشـنوف ر . ن	متخصص في الفقه الاسلامي R. N. Nishanov 13
١٤	كليمـوفيتش ل . آي	متخصص في الفقه والتاريخ الاسلامي L. I. Klimovitch 14
١٥	كوفتون جي . ا .	رئيس تحرير في الجمعية الاتحادية J. A. Kofton 15
١٦	إي . ا . سليابيف	رئيس التحرير العلمي للجمعية E. A. Silayev 16
١٧	ب . هـ . إيسلينفيا	المحـرر الفني للجمعية B. H. Islinvia 17
١٨	ر . س . باتيريفسكايا	المصحـح R. S. Patrivskaya 18
١٩	ناليري تارسيس	كـاتـب ونـاقـد Nalery Tarsis 19
٢٠	اليكسندر سيتين فولبين	فيلسوف وشاعر Alexander Seitin Volpin 20
٢١	يوري بوشتاين	أحد زعماء الشيوعيين الكبار Yuri Bushtain 21
٢٢	يوري غلاسـوف	كاتب واديب في اللغة العربية Yuri Glasov 22
٢٣	يوري تيسوف	Yuri Tistov 23
٢٤	فلاديمير ماكسيموف	كاتب باللغة العربية Vladimdr Maxsimov 24
٢٥	اغنازيوسـيلوف	Ignaziusilov 25
٢٦	لينا غـروس	Lina Gruss 26
٢٧	غيانـكاريو فيغوريلي	Giankario Vigorelly 27
٢٨	س . ل . تيخفينسكي	رئيس جمعية المستشرقين الروس S. L. Tikhvensky 28
٢٩	م . ا كوروستوفتسيف	متخصص في التاريخ العربي M. A. Korostovstsive 29
٣٠	ل . جي . ناديارا دزي	مدرس العلوم والتاريخ الاسلامي L. J. Nadira Dezi 30
٣١	ف . سـافاروف	النظريات الاستشراقية V. Savarov 31
٣٢	ك . ب . ستاركوفا	دكتورة في اللغة العربية K. B. Starkova 32
٣٣	ميخائيل بيدوروف	صهيوني العقيدة يهودي الاصل Mekhael Bedorov 33
٣٤	غريغوري سرياتوف	عضو جمعية الصداقة العربية الـروسيـة Gregory Serbatov 34

ترجمت مؤلفاتهما للروسية □

□ توفيق الحـكيم ...

□ إحسان عبد القدوس ...

وهنا يحسن بنا ملياً أن نقف عند المستشرق: ميخائيل بيدوروف لنعرف من هو؟..

إنه ضابط روسي اشترك في الحرب العالمية الثانية، ثم تولى تدريب كوادر للجيش الشيوعي في تشيكوسلوفاكيا، وعينته روسيا بعد الحرب العالمية الثانية سفيراً لها في إحدى الدول العربية، وهو مستشرق متعصب لصهيونيته، والعقل المفكر والمحرك لترحيل اليهود من روسيا إلى فلسطين خلال الاحتلال الانجليزي، وهو أحد مؤسسي عصابة الأرغون الارهابية عام ١٩٣٥م، والتي أصبحت فيما بعد نواة الجيش الاسرائيلي بجانب فرقة «شتيرن» اليهودية.

معهـد الشعـوب الآسـيوية..

هدف هذا المعهد الاشراف على الدراسات العربية وعلاقتها بالاسلام ثقافياً وجغرافياً وسياسياً واجتماعياً واقتصادياً، بل وكل ما له علاقة بالاسلام. تتخصص كل مجموعة من المستشرقين الروس لدراسة ناحية من هذه النواحي كل في محور اختصاصه، ثم يجمع ما توصلوا إليه من بحوث ودراسات في ملفات خاصة، وبعد المراجعة الدقيقة تقدم إلى المجلس الأعلى للحزب الشيوعي لتبنى عليه سياسة روسيا الخارجية نحو البلدان العربية والاسلامية، وفي معهد الشعوب الآسيوية يقوم مستشرقون روس بالاشراف بدقة على سير المعهد، ومن بين هؤلاء:

١	إيفني بليلييف	Ifni Biliev 1
٢	فلاديمير لوتسكي	Vgadimeyer Lotsky 2
٣	غرغوري شرباتوف	Gregory Serbatov 3
٤	بوريس دانسينغ	Boris Dansing 4
٥	فلاديمير تسبيولسكي	Vladimeyer Tesbiolesky 5
٦	فرونيكا فروتيا	Veronika Vorotisa 6

وقد صدر عن هذا المعهد عدة كتب، منها:

الاستشراق الروسي

١ ـ سوريا ولبنان صدر عام ١٩٦٤
٢ ـ الجزيرة العربية والخليج صدر عام ١٩٦٥
٣ ـ ليبيا صدر عام ١٩٦٥
٤ ـ العراق صدر عام ١٩٦٦
٥ ـ مصر صدر عام ١٩٦٧

تحتوي هذه الكتب على دراسات تفصيلية دقيقة عن مدى تغلغل العقائد الاسلامية في نفوس شعوب تلك البلدان ، وقد قسمت الدراسات إلى فصول وأبواب عن المذاهب الاسلامية والعقائد السائدة في البلاد العربية ، ومدى تأثيرها على البلدان الاسلامية الأخرى ، والخلافات المذهبية واثرها في نفوس الشعوب وتاثيرها على العلاقات السياسية لسير سياسة الدولة ، ونقاط الضعف الموجودة فيها .

ومن هذه النقاط الخلافية في المذاهب الاسلامية تركز روسيا سياستها لإثارة العواطف المذهبية وإثارة الشعور الطائفي حتى تتمكن من إشعال نار المشاحنات الخلافية بين المسلمين دون أن يشعر المسلمون بذلك ، وكلما ازدادت خلافات المسلمين تفاقمت العداوة بينهم ، مما يسهل على روسيا التسرب إلى تلك الجماعات وتطعيمها بالأفكار المثيرة الجديدة والمحبة للثورة ضد الرجعية !!!

مكتبة لينينغراد ..

جميع المكتبات الموجودة في روسيا كلها تتعاون مع جمعية الاستشراق الروسي ، ومن تلك المكتبات الكبيرة الشهيرة : مكتبة لينينغراد التي تضم اثني عشر الف مخطوط من الكتب الاسلامية ، وهي التي سلمت من النهب عند استيلاء الشيوعيين على البلدان الاسلامية في آسيا الوسطى ، وإذا كان هذا العدد هو ما تبقى وسلم من الإبادة فكم يا ترى مجموع الكتب الاسلامية التي احرقت ؟ أما الكتب المطبوعة ، فهي مجموعة كبيرة من الكتب التي طبعت في العالم الاسلامي وغير العالم الاسلامي بكل اللغات ، غير انه لا يسمح للشعب الروسي بقراءة هذه الكتب إلاّ الذين لهم الحق في المراجعة من المستشرقين .

يقول المستشرق غريغوري سرباتوف ، وهو عضو في جمعية الصداقة الروسية العربية ، وقد سبق له زيارة بعض البلدان العربية : يوجد في مكتبة طاشقند الآن ثمانون الف كتاب اسلامي بين مخطوط ومطبوع باللغات العربية والفارسية والتركية ، وان مجموع الكتب باللغة العربية لا يقل عن (١٥) **الف كتاب** . وبحكم عمل المستشرقين الروس واهتمامهم الكبير بالكتب الاسلامية فقد قامت جمعية الاستشراق الروسي التابعة لأكاديمية العلوم في ازبيكيستان بترجمة عدة كتب إسلامية إلى اللغة الروسية خلال عام ١٩٥٤م حتى عام ١٩٦١م . وما يزال هذا العمل قائماً ومستمراً إلى الآن .

من نشاطات جمعية المستشرقين الروس ..

انشات الأكاديمية الروسية للعلوم معهداً للتخصص في دراسة الأدب الشرقي بوجه عام ، وتستعرض الدراسة : القصص والروايات الشعبية اساطيرها وفنونها . يتولى إدارة هذا المعهد المستشرقون الروس والمدرسون في كلية العلوم بجامعة موسكو بالتعاون معع وكالة نوفوستي الروسية لطبع ونشر مؤلفات المستشرقين الروس باللغات التي تراها لازمة ، كما تتطلبها المصلحة الروسية ، من اللغات التركية والعربية والإيرانية والهندية والأوردية والصينية وغيرها ... حسب هدف السياسة الروسية ومتطلبات الظروف ، وقد يترجم كتاب إلى اللغة التركية ولا يترجم نفس الكتاب إلى لغة أخرى ، وهكذا بالعكس ، وقد اصدرت كتباً كثيرة باللغة العربية منها : كتاب « الاسلام ، نشوؤه ومستقبله » للمستشرق كليموفيتش .

تطوير سياسة الاستشراق الروسي ..

بعد أن احرزت دائرة الاستشراق الروسي النجاح بموجب المخطط المرسوم ، قررت مضاعفة جهودها للاسراع في الخروج من العزلة والتفتح اكثر نحو العالم الاسلامي ، واتخذت طرقاً واساليب جديدة بعقد الندوات والمؤتمرات الاسلامية كما اتخذت بلدان آسيا الوسطى الاسلامية مقراً لهذه الندوات والمؤتمرات حيث يوجد فيها ما تبقى من آثار اسلامية .

ومنذ بداية السبعينيات ضاعفت روسيا نشاطها في هذا المضمار فعقدت في موسكو عاصمة الاتحاد السوفييتي « **مؤتمر الاديان** » دعت إليه الشخصيات البارزة من جميع الاديان في العالم ، وذلك لتبرهن للعالم ، خاصة الذين يقولون : إن روسيا تحارب الأديان السماوية ، بأنها لا تحارب الأديان ، ولكنها تحتضنها ، وانعقاد المؤتمر دليل على ذلك . ثم تلاه المؤتمر الاسلامي الذي انعقد في طاشقند ، **وفي عام ١٩٧٢م اقامت احتفالاً كبيراً في ازبيكيستان لذكرى فيلسوف الاسلام الفارابي ، ثم احتفالاً آخر لذكرى ابن سينا** ، كذلك فإن روسيا لم تتأخر عن البلدان الاسلامية الأخرى فقد احتفلت بحلول

- **منذ عام ١٨٦٤م وروسيا تعمل من أجل استقرار اليهود في بيت المقدس ، وتأمين ما يحتاجونه من وسائل الخدمة العامة .**
- **أول جمعية للمستشرقين الروس كانت تتبع بصفة رسمية للأكاديمية الروسية للعلوم ، وتختص بدراسة كل مايتعلق بالشعوب الاسلامية دينيا ، واجتماعيا ، وثقافيا ، وتاريخيا ، واقتصاديا .**

القرن الخامس عشر الهجري ، ثم عقدت مؤتمراً اسلامياً في طاجيكيستان ثم اقامت حفلة في ذكرى مرور ثلاثين عاماً من تأسيس الادارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى في قازاكستان ، ثم حفلة في ذكرى **الإمام البخاري** وغير ذلك من الحفلات الكبيرة ، وفي كل حفلة من هذه الحفلات يحضر شخصيات إسلامية مرموقة من العالم الاسلامي بدعوة من الاتحاد السوفييتي ، وكسبت روسيا بتوجيهات من الجمعية الاستشراقية ثقة بعض المسلمين لأنها استطاعت أن تثبت للعالم الاسلامي المتحرر ، حسب اصطلاحها ، بأن الاسلام مزدهر تحت الحكم الشيوعي ، وأن المسلمين في الاتحاد السوفييتي أحرار فيما يعتنقون ، كما أشاد بذلك المسلمون الذين حضروا واشتركوا في هذه المؤتمرات والندوات .

وفي كل مناسبة تعلن روسيا للعالم الاسلامي بأنها تحافظ على الآثار والتراث الاسلامي ، وتعمل على صيانته ليبقى رمزاً للاسلام في الاتحاد السوفييتي ، كما انها لا تألو جهداً في ترميم المساجد واضرحة الأئمة المسلمين مثل : البخاري ، والترمذي ، وغيرهما من الشخصيات الاسلامية .

ومعهد الدراسات الاسلامية يصدر مجلة باسم « العلم والدين » !! يحررها مجموعة من المستشرقين الروس ، مع أن النظام الأساسي لمعهد الدراسات الاسلامية ينص على ما يلي :

١ ـ **يهدف معهد الدراسات الاسلامية لإضعاف الروح المعنوية بين المسلمين ، وإبعادهم عن معتقداتهم ، وتغذية أفكارهم بالشك في دينهم .**

٢ ـ **إغراء المسلمين بالمفاهيم المادية الجذابة بأسلوب طلي ، وفتح المجال لهم حتى يندفعوا لاعتناق الاشتراكية .**

اما الوسائل التي يتخذها هذا المعهد للوصول إلى هدفه فتتركز على :

١ ـ **تطعيم النظريات المادية بالمفاهيم الاشتراكية ، بأسلوب يتماشى مع مزاج كل شعب من الشعوب الاسلامية على حدة .**

٢ ـ **تسريب الفلسفة المادية المنمقة إلى عقول ومفاهيم المسلمين من الجيل الجديد حتى يتراءى لهم أن المفاهيم والتعاليم الاسلامية أصبحت بالية وعقيمة ، ولا تستطيع مسايرة العصر الحاضر عصر العلم والتقدم الحثيث .**

٣ ـ **تدعيم الفلسفة المادية والنظرية الاشتراكية بأقوال وفتاوى زعماء وعلماء من المسلمين ، وبأن هذه الفلسفة هي الوحيدة التي تكفل سعادة البشر ، وتحميهم من المتاهات المذهبية وخلافاتها البالية التي اضرت بالانسانية وجرّت المسلمين إلى التأخر .**

٤ ـ **إحياء كل تراث ما قبل الاسلام للاعتزاز به باعتباره مفخرة من مفاخر الحضارة والمدنية الخالدة .**

٥ ـ **تأييد كل الذين يكتبون لإحياء تراث ما قبل الاسلام ، ومساندة الكتاب أدبياً بشراء مجموعة من مؤلفاتهم من المكتبات ، وتوزيعها في أماكن أخرى .**

من هذا الهدف وبهذه الوسائل تنطلق سياسة الاتحاد السوفييتي لتنفيذ مخططاته للتأثير على الجيل الجديد في الشعوب الاسلامية .

قال الصحفي الروسي (**شارلوت سايكوسكي**) :

إن الاتحاد السوفييتي طبع القرآن كتاب المسلمين ليوزع مجاناً خارج الاتحاد السوفييتي للذين يدرسون الاسلام من غير المسلمين ، ولا يوزع هذا المصحف داخل الاتحاد السوفييتي ، وقد طبع بناءً على توصية من جمعية الاستشراق الروسي .

ولنلق نظرة إلى ما ذكره الاستاذ يوسف فراج في كتابه « انتصار الاسلام » صفحة ٤٩ :

« **إن للاتحاد السوفييتي وجهين نحو الاسلام : المعاداة التامة داخل الحدود ، والصداقة نحوه في الخارج . ولنضرب لذلك مثالاً : لقد طبعت الإدارة الاسلامية للمسلمين في طاشقند كتاباً لطيفاً يحتوي على لوحات ملونة بخصوص النصب التذكاري الاسلامي الكبير في الاتحاد السوفييتي ، ووزعت نسخاً منه على المسلمين البارزين بالخارج . ومن بين المباني التذكارية مسجد وضريح المسلم المشهور احمد ياسفي ، وضريح باشليفان محمد في مدينة شيفا .**

ولم تذكر روسيا أن كلا المبنيين التذكاريين يستعملان الآن كمنازل للملحدين . (وتوجد تفاصيل أكثر في يزبكستان كومنيستي رقم ٤ لسنة ١٩٦٤م صفحة ٢٨ ـ بارتينيا كازاخستان رقم ٨ عام ١٩٥٩م صفحة ٣٣) .

وانه بينما يحدث ذلك للدعاية الخارجية فإنه من المتعذر تماماً طبع وتوزيع أية نشرة اسلامية في الاتحاد السوفييتي ، مع استثناءات قليلة ، فإن القرآن قد طبع في طبعة أنيقة ، وقُدمت منه نسخ للشخصيات الاسلامية الأجنبية فقط » .

هذا بعض ما ذكره الاستاذ يوسف فراج ، ورغم كل

الاستشراق الروسي

المحاولات للحصول على هذا المصحف المطبوع في موسكو لم أوفق حتى لمشاهدته ، وهذه الطبعة التي لا يقصد منها إلا الدعاية لموسكو في العالم الإسلامي ..

وإلا فما معنى أن يقول المستشرق الروسي (كليموفيتش) في كتابه « الاسلام » الذي طبع في موسكو (عام ١٩٦٨م صفحة ٢٧) عن المصحف الشريف :

« القرآن كتاب معقد في تركيبه ، فهو يحتوي على عدد كبير من الأساطير والقصص المنقولة عن قدماء العرب ، وكذلك عن الأديان اليهودية والنصرانية والزردشتية ، مثال ذلك ما يحتويه القرآن من قصص الكتاب المقدس عن الأنبياء - فنجد ان اساطير موسى ويوسف الجميل ويونس وعيسى المسيح وغيرهم تكوّن قسماً كبيراً من القرآن » !!

ويتابع ليقول في الصفحة (٢٩) مستنتجاً :

« وعلى هذا فإن مبدأ اعتبار القرآن منزّلاً ، وتقديسه كنتيجة لذلك يعارض التطور العلمي ولا يتفق مع التقدم » .

دار « نـــوكا » ..

هذه الدار تابعة لهيئة الأدب الشرقي ، تتخصص في دراسة القصص والروايات والحكايات والأدب والأساطير لبلدان آسيا بصفة عامة والبلدان العربية والاسلامية بصفة خاصة .

يتولى إدارة هذه الدار مستشرقون من جامعة لينغراد ، ومدرسون في كلية الدراسات للعلوم ، ومن بعض المستشرقين الموجودين في موسكو . منذ عام ١٩٦٤ أصدرت هذه الدار عدة كتب ترجمت من اللغات العربية والايرانية إلى اللغة الروسية لتزويد المشتغلين بالشؤون الاستشراقية بتلك الكتب .

تركز هذه الدار بصفة خاصة على ترجمة القصص والروايات والأشعار من الكتب الحديثة لمؤلفين من تونس والجزائر ومصر والعراق بل وسائر البلدان العربية وكذلك من قصص الهنود والأفغان والايرانيين ، ومن جملة ما تم ترجمته إلى اللغة الروسية من الكتب العربية مؤلفات إحسان عبد القدوس وتوفيق الحكيم .

لاقت ترجمة هذه الكتب إقبالاً شديداً من المستشرقين الروس والمشتغلين بالشؤون الاستشراقية ، لم يكن اختيار الكتب القصصية والروايات والأشعار لترجمتها لقيمة الكتاب العلمية أو تقديراً للأدب العربي ، ولكن تختار من تلك الكتب التي تصور حالة المجتمع وآراء الأفراد وعالم تفكير الوجهاء ، ومدى فعالية تلك الأقاصيص واثرها في نفوس الشعب ، ومنها تستنتج العقليات ، وعليها تبنى دراسات المستشرقين الروس ، وعلى اساسها توضع المخططات .

تدعيم المؤلفـــات الخارجيـــة ..

ومن جهة أخرى تهتم هذه الهيئة بكل ما يصدر من الكتب التي تتسم بروح الاشتراكية من مؤلفين غير روس في البلدان خارج الاتحاد السوفييتي .

ففي اندونيسيا كانت مؤلفات الأديب الماركسي (براموديا أنانتاتور) تنفد من المكتبات خلال أشهر معدودة ، تكتب الصحف عن رواج الكتب وإقبال القراء عليها ، وإذا تقصينا ملياً نجد أن جهازاً تابعاً لروسيا كان يشتري هذه المؤلفات من المكتبات ثم يقوم بدوره بإهداء هذه الكتب لمن يراه مهماً دون علم المؤلف والناشر .

فالكاتب يعتز لهذا الإقبال على مؤلفاته ويطمع الناشر للمزيد من طبع أمثال هذه المؤلفات ، وتجني موسكو الفائدة الأدبية والسياسية .

هذا مثال واحد من امثلة كثيرة تطبق على المطبوعات الأخرى ، كالسريانية ، والكردية ، والأرمنية ، والتركية ، والعربية ، وغيرها من اللغات الآسيوية أو الافريقية .

عندما نلقي نظرة فاحصة على الحوادث الحالية الكثيرة المتتالية في مناطق مختلفة من العالم الاسلامي نراها كحلقات في سلسلة متماسكة ، وكلها ذات علاقة مباشرة بالصحف والكتب التي تصدر بلسان كل قوم ، تثير الاعتزاز بالقومية ، والافتخار بالحضارات والمدنيات القديمة ، ما قبل الاسلام أو قبل المسيح عليه السّلام ، والتي يطلق عليها (**الحتمية الواقعية**) .

ففي باكستان نجحت الدعوة إلى القومية البنغالية ، والدعوة بلغة البنغال ، وكانت النتيجة الثورة ثم الانفصال وتأسيس دولة بنغلاديش .

كذلك ما دام العربي يفتخر ويعتز بإقليميته الضيقة ، فمن الصعب تحقيق وحدة عربية شاملة رغم وحدة اللغة والثقافة والحضارة التي تجمع العرب جميعاً .

انمـــــوذج من كتابـــات المستشـــرقين الـــروس ..

في مؤتمر المستشرقين الروس الذي نظمته اكاديمية العلوم ،

• من أهم واجبات الأكاديمية الروسية للعلوم: اعداد متخصصين في العلوم الاسلامية ليلتحقوا بعد تخرجهم بالجمعية الاستشراقية الروسية .

• تلك الاستشراق الروسي سبيل تحقيق مصالح روسيا متسترا بشعارات وأسماء تخفي وراءها غايته الحقيقية .

المنعقد في السابع من شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٦٩م في موسكو عن السيكولوجية الدينية ، يقول (بلاتونوف Belatonov) العالم النفساني ما يلي :

« لا يوجد أصل واحد فقط لكل من الظواهر السيكولوجية للتدين ، فهي تنشأ كنتيجة حتمية للتفاعل بين ذاتيات نفس الفرد ، وحال وجوده ينشأ لدى الناس الشعور بالخوف ، والفرصة تخلق الخيال بعيداً عن الواقع ، والحاجة إلى التطهر ، وينشأ من ذلك الشعور واللاشعور ، ومن المهم تحليل هذه العناصر تحليلاً علمياً حتى يمكن مقاومة تيار الشعور الديني في الانسان بنجاح » .

وسنعرض هنا بعض مقتطفات من كتاب « **الاسلام : نشوؤه ومستقبله** » للمستشرق الروسي (كليموفيتش Klimo-vitch) وهو من منشورات الجمعية الاتحادية لنشر العلوم السياسية والفنية طبع في **موسكو عام ١٩٦٨م** حيث يقول عن الإسلام :

« لا يمكن النهوض لأمة متدينة قبل القضاء على بقايا العقائد الدينية وغيرها من الأفكار البالية التي تضلل الانسانية ، إن القضاء على الدين هو ما يقتضيه ويفرضه الواجب » .

« ويمثل الدين الاسلامي إحدى هذه البقايا الدينية المحافظ عليها من قبل سكان جمهوريات آسيا الوسطى في القوزاق والقفقاز وتاتارية وباشكو ، وكذلك في بعض مناطق الجمهوريات السوفييتية الفيدرالية الاشتراكية الروسية ، وينتشر هذا الدين في الخارج وعلى الأخص في عدد من البلاد الآسيوية والافريقية .

إن الاسلام له تاريخه الخاص وعقائده وطقوسه وعاداته الخاصة ، ولأجل ان نفهم ما هو الدين الاسلامي ، يجب قبل كل شيء ان ندرس الأحوال التاريخية التي نشأ وتطور فيها ، وان نوضح ما يحتويه هذا الدين ومرامي تعاليمه » .

وعن الجامعة الاسلامية يقول كليموفيتش Klimovitch :

« ظهر في الشرق فكرة الجامعة الاسلامية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وهي حركة سياسية رجعية » .

ويقصد كليموفيتش بهذه الحركة ، حركة السيد جمال الدين الأفغاني والشيرازي من دعاة الوحدة الاسلامية .

ويقول كليموفيتش في صفحة ١٣ من الكتاب نفسه في فصل انتشار الاسلام ما يلي :

« انتشر الاسلام خارج البلاد العربية نتيجة غارات وفتوحات الاقطاعيين في بلاد آسيا وافريقيا واستعبادهم شعوب تلك البلاد المتمدنة » .

وفي الصفحة الرابعة عشرة يقول :

« وكان قواد الجيوش العربية حين احتلالهم المدن والقرى يبادرون إلى اعمال التخريب والتدمير ، ونهب واستعباد السكان المغلوبين وإبادة الكثير منهم » .

ثم يصف كليموفيتش الخليفة في صفحة ١٦ ما يلي :

« وكان الخليفة بوصفه رئيساً لدولة إقطاعية واسعة يجمع في شخصه السلطة العليا الدينية والعسكرية والمدنية » .

وفي صفحة ١٩ يقول عن علماء المسلمين ما يلي :

« وكانت اعمال كهنة الاسلام تهدف قبل كل شيء إلى حمل النّاس على طاعة الخليفة ، وكذلك تبرير اشكال الاستغلال الفاحش الذي كان سائداً في ذلك العصر » .

وفي صفحة ١٨ يقول :

« وبما ان الاسلام كان الدين الرسمي للدولة في زمن الخلافة فقد كانت الأحوال مساعدة على منح كهنة الاسلام مقاماً ممتازاً » .

ويقول كليموفيتش ايضاً :

« من المستحيل إحراز التقدم الحقيقي قبل التغلب على البقايا الدينية وغيرها من الآراء التي أصبحت بالية وكذلك النظريات التي تضلل الانسان » .

ختم كليموفيتش كتابه عن الاسلام بجملة معروفة نقلها من كتاب ماركس وانجلز الطبعة الثانية من المجلد الخامس صفحة ٤١٥ ما يلي :

« إن الدين سعادة وهمية وإلغاءه ضروري لجلب السعادة الحقيقية » .

ويقول كارل ماركس واضع الفلسفة الماركسية ما يلي :

« إن الدين ظاهرة تاريخية تتأصل جذورها في المجتمع الطبقي » .

وهل بعد هذا كله يمكن الوثوق بروسيا والانخداع بدعايتها المغرضة وأخلاقها النفعية ، وسياساتها التي تقوم على أن الغاية تبرر الوسيلة ..